



شاهدت صباحاً بثاً حياً لمدينة نيويورك الأمريكية، حيث الأسواق تضجّ بالناس وناطحات "الاستهلاك" تشتعل وتنطفي بإعلاناتها التي تخطف العقول، وتسرق عيون المارة لتباعها برضاهما أو رغمًا عنها! معلنَة عن سلع جديدة ومنتجات وليدة تجذب المزيد من الناس وتأتي بهم إلى المولات ليجتروا المزيد والمزيد من السلع حيث الاستهلاك ثم الاستهلاك هي الثقافة السائدة هناك.

لا أحد يستطيع أن ينكر أن نمط الحياة الغربية عامة والأمريكية خاصة قد تسرب إلى مجتمعاتنا من بين أيدينا ومن خلفنا وخاصة الشق المتعلق منها بالاستهلاك، ذلك أنّ العولمة ودخول تفاصيل الحياة الأمريكية إلى بيوننا عبر وسائل الاتصال الحديثة، حولت الكثير من الكماليات والمرفهات إلى حاجات وضروريات وذلك من خلال الجهد والمال اللذان يبذلان في مجال الدعاية والإعلان للترويج لتلك الكماليات.

قبل انطلاق ثورة الحرية والكرامة في سوريا بل وحتى في الأشهر الأولى منها، كان الناس يرتادون الأسواق ليأتوا بالجديد دوماً انطلاقاً من الحكم الأمريكية الراكرة في العقول الباطنة والقائلة: إن الجديد هو الجيد "Good is new" حيث ثقافة الاستبدال تغزو العقول والقلوب، فالجديد هو اللامع والجديد هو من تضفو عليه القدسية ويبعث في النفس الطمأنينة، وذلك بعكس كل القيم القديمة التي تقول إن القديم هو صاحب الأفضلية.

ففي عهد ما قبل الثورة ركينا شيطان التسوق لسنوات وساد بيننا وفرض نفسه على الجميع، فغالباً ما يتحسّر الفقير لعدم قدرته على شراء السلع، ويفعل مثله الغني لأنّه لا يدرك أين يذهب بالmızيد من السلع! فالشعور بالرضا أصبح مرتبط بالاستهلاك واستشرى ذلك المرض بشكل خطير جداً في مجتمعنا، في حين أن الإحصائيات تقول أن الذين قالوا إنهم سعداء لم يكونوا من الأغنياء جداً!!

الانقطاع "القسري" الذي فرضته الثورة عن الأسواق في الكثير من المدن المشتعلة بعد أن دمرت آلة القتل والتدمير الأسدية الأسواق وحرق " رجال الوطن البواسل " الأسواق القديمة والحديثة، يجب أن نستغلّه جيداً، يجب أن يعطينا الفرصة لاستعيد التوازن الذي فقدناه طوال الفترات السابقة، التوازن في العيش، التوازن فيما نريد من هذه الحياة!

لاحظنا أن الناس بسبب الظروف الأمنية الصعبة قد مُنعوا من الذهاب إلى الأسواق لأشهر في هذه الثورة، إلا أننا لم نشاهد أحداً مات لأنه مُنع من التسوق، ولم نسمع أن أحداً قد أصابه الشلل من جراء عدم ارتياه الأسواق والمولات يومياً!، كان السواد الأعظم من الناس قبل الثورة تعيش لتأكل وتشرب وتتسوق، أما الآن أصبحت تأكل وتشرب ولا تسوق وما زالت تعيش، إذا الاستهلاك إيمان يعالج بممارستان الثورة شيئاً فشيئاً لا أكثر.

الثورة برهنت أننا أصحاب إرادة قوية جداً والعمل على تسلیط الضوء على تلك الإرادة وتعزيزها في نفوس أبناء مجتمعنا جزء كبير من من معالجة قضية الاستهلاك، فالقصور في الإرادة هو الذي يمنعنا من القيام بالكثير من الأعمال، والثورة أتاحت لنا الفرصة المناسبة لنعزز من ثقافة الانقطاع عن الأسواق ولنقوي إرادة الناس في ذلك، لنؤكد باستمرار للناس قول النبي قليلٌ يغنى خيراً من كثير يطغى لنبين للناس أن اليقين والسعادة والطمأنينة ليس بالاستهلاك وإنما بعبادة الله سبحانه واعبد ربك حتى يأتيك اليقين .

فلنعمل معاً على تجاوز حمّي الاستهلاك بعد أن لازمنا لسنوات وسنوات، ولنؤكد للناس أن مامتلكه من سلع ومتاع قليل قديم يكفيانا من أجل عيش حرّ كريم.

المصدر: جريدة عنب بلدي

المصادر: